الابطال في موسكو او في برلين او في براغ ...

الطرف التقدمي،ايضا، قد لا يرى في ذلك ضيراً. مصر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم تتأثر، الا قليلا جدا، على الصعيد العام، في المجالين الثقافي والاعلامي.

ربما السبب في ذلك، هو ان هذا الجانب يعتبر ثانويا لدى الطرف التقدمي، ويترك للتطور العضوي. لكن هذا الترويج البريء من قبل الطرف التقدمي للاطروحات البورجوازية هو غير بريء بالنسبة للذين يروجونه. ان شركات دولية ذات امكانات جبارة هي التي تقوم، عمليا، بالترويج، مستعملة مختلف الاساليب.

وهذا ليس ثانويا في تأثيره على العمل التقدمي، وانما اساسي. ان تجنيد المجتمع وتعبئته في سبيل القضية السياسية، لا يمكن ان يتم الا على ركيزة علمية وايديولوجية معادية للامبريالية، وهذا غير ممكن إذا كانت الامبريالية، بعلمها وبايديولوجيتها وبفنها، هي مثل اعلى لمجموع الشعب، وإذا كان مجموع الشعب يستقي الاخبار منها، ويبني آراءه على تحليلاتها. حتى إذا ناصبها الشعب العداء حينئذ، فانه يحاربها من خلال فهمها، لا من خلال فهمه، وعبر ايحاءاتها المختلفة والمعلومات المضللة التي تقدمها عن نفسها.

من اين اتت الفكرة في ان مصادر الاخبار الغربية صادقة دوما، بل صادقة ولو كان كذبها واضحا، وفي ان مصادر الاخبار التقدمية كاذبة دوما، بل كاذبة ولو صدقت؟ اتت هذه الفكرة، بالدرجة الاولى، من الوهم المسيطر من خلال مجمل عملية الترويج، التي ذكرناها، بان الطرف الغربي (اي الطرف الرأسمالي ـ الامبريالي) هو الذي يمتلك الموضوعية والعلم والثقافة والفن، وبان الطرف الآخر (اي الطرف الاشتراكي والتقدمي) غوغائي، يكبت الحرية، ليس لديه احترام للعلم وللثقافة والفن، ولذلك لا يمتلك الموضوعية، ولا يمكن الرجوع اليه للاطلاع على حقائق الامور.

المعنى البسيط لمثل ذلك هو الاستعداد الواسع لدى الجماهير لتقبل كل انواع الحرب النفسية في الازمات وفي فترات الانفراج معا.

هذا يعني ان احدى مهمات العمل التقدمي الجوهرية هي التعاون مع البلدان الاشتراكية في عمل مبرمج، طويل الامد، للوقوف في وجه التيار الديماغوجي البورجوازي الذي ما فتىء يكذب منذ نشوء البورجوازية، وسيبقى يكذب، الى ان ينتهي عمر البورجوازية الاجتماعي. كان الاستعمار القديم يهدف، بموجب المنطق البورجوازي، الى «تحضير» الشعوب المتخلفة؛ وكانت الموجات الاسبانية والاوروبية التي ابادت الهنود الاميركيين ونهبت ذهب العالم الجديد بهدف تبشير الوثنيين وهديهم الى الدين المسيحي؛ وكانت الحركات الصهيونية للدفاع عن الشعب اليهودي (بوضع من تخدعه منه في خدمة الامبريالية) ؛ وكان الاحتلال الصهيوني لفلسطين لنقل الحضارة الغربية الى المنطقة العربية المتوحشة؛ وكان غزو لبنان لسلامة الجليل؛ وكان ضرب الاسطول السادس للبنان لمكافحة الارهاب؛ وكان غزو غرانادا وضرب نيكاراغوا من اجل الديمقراطية ومن اجل مكافحة الارهاب، الخ. واحدى مهمات العمل التقدمي الجوهرية، ايضا، هي القيام بالطرح البديل، اي طرح الانتاج التقدمي، العلمي والثقافي والفني والاعلامي، وتطوير هذا الانتاج بشكل يتفق ومتطلبات الكفاح الدائر ضد الامبريالية.

طبعا، اذا لم يقم العمل التقدمي بالمهمة المزدوجة (اي الوقوف ضد الديماغوجية البورجوازية، وتقديم طرح تقدمي بديل)، فان المجتمعات العربية، وغير العربية، سوف تفرز،